الباب التاسع والخمسون

باب قول اللّه -تعالى-: ﴿يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الآية

قناة التأصيل العلمي

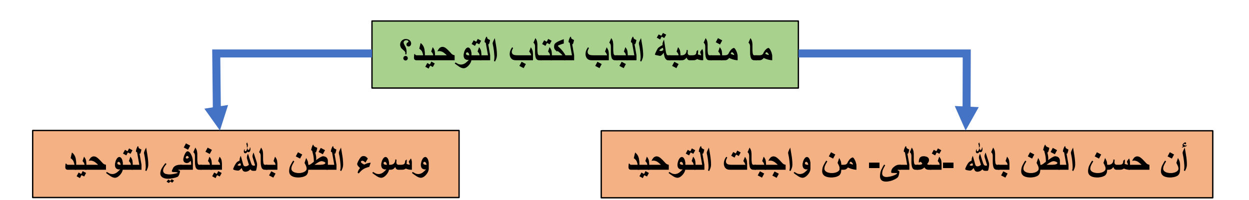
http://t.me/altaseelalelmi

(اضغطي على الرابط للوصول إلى القناة)





الباب التاسع والخمسون: باب قوله -تعالى-: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ.....) الآية



ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

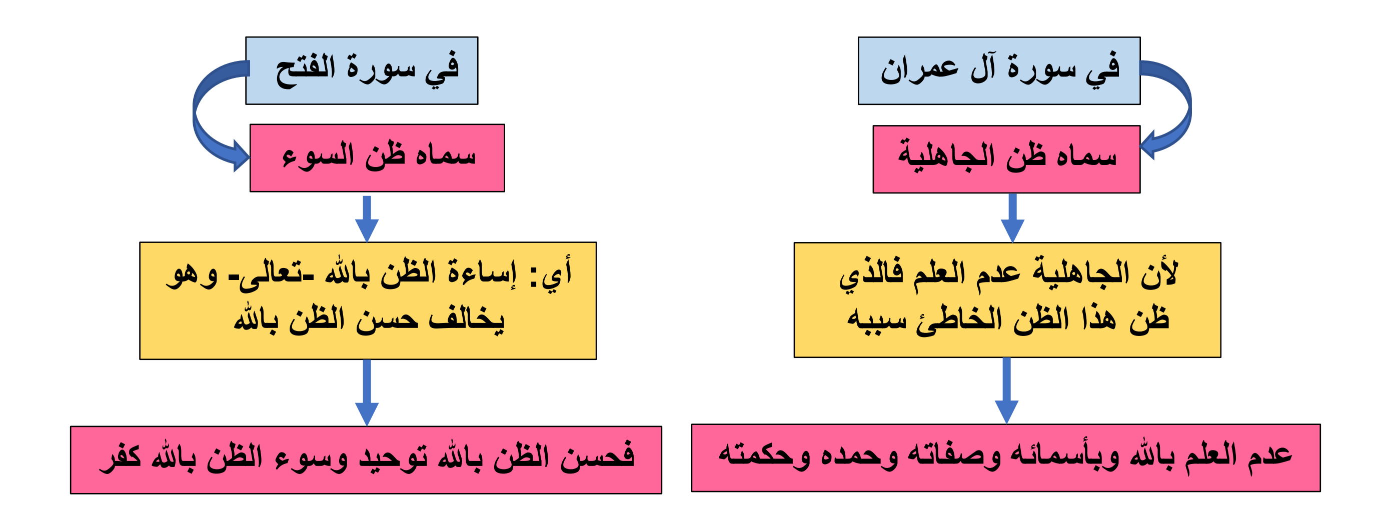
أن حسن الظن بالله -تعالى- من واجبات التوحيد

وسوء الظن بالله ينافي التوحيد

الآية في آل عمران (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) والآية في الفتح (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) كلاهما في موضوع واحد وهو:

سوء الظن بالله وما توعد الله عليه من العذاب والعقوبة لأنه ينافي التوحيد

والقصة حصلت في وقعة أحد لما حصل على المسلمين ما حصل من إدالة العدو عليهم بسبب المخالفة التي حصلت في الجيش، لما حصل ذلك تكلم المنافقون بكلام سيء بأن المسلمين ليسوا على شيء وأن دينهم ليس بشيء يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية وظن السوء



في سورة آل عمران

سماه ظن الجاهلية

لأن الجاهلية عدم العلم فالذي ظن هذا الظن الخاطئ سببه

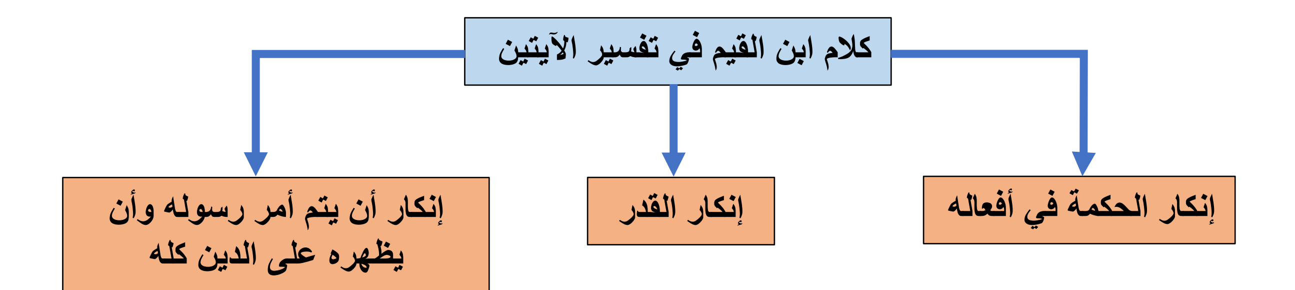
عدم العلم بالله وبأسمائه وصفاته وحمده وحكمته

في سورة الفتح

سماه ظن السوء

أي: إساءة الظن بالله -تعالى- وهو يخالف حسن الظن بالله

فحسن الظن بالله توحيد وسوء الظن بالله كفر



كلام ابن القيم في تفسير الآيتين

إنكار الحكمة في أفعاله

إنكار القدر

إنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله





كلام ابن القيم في تفسير الآيتين:

١

بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل

- وهذا تكذيب لقوله: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)
- والتكذيب لوعد الله كفر
- التفسير بأن الدين الذي جاء به محمد -ﷺ- سيزول نهائيًا مثل سائر الدعوات تفسير باطل
- لأن الحق لا بد أن يبقى ويستمر فمن ظن أن أمر الرسول -ﷺ- سيضمحل بسبب ما جرى من النكبات التى جرت على المسلمين
- من ظن هذا فقد ظن بربه ظن السوء
- والله -تعالى- أجرى النكبات على الدين وأهله ابتلاءً وامتحانًا
- من أجل الرجوع إلى الله أو لخطأ ارتكبوه فيريد الله -تعالى- أن ينبههم من أجل أن يُنقوا صفوفهم
- وكذلك من أجل أن يخلصهم من الذنوب ليقدموا إليه مطهرين
- فيُعيد الله لهم النصر والتمكين وهذه سنة الله -تعالى- في خلقه

٢

إنكار الحكمة في أفعاله تعالى

- وهذا كفر وضلال لأن الله -تعالى- وصف نفسه بالحكمة وسمى نفسه الحكيم
- ومن أثبتها وأوّلها فإنه يعتبر ضالًا فى هذا التأويل
- لأن الله تعالى حكيم لا يفعل شيئًا إلا لحكمة عظيمة
- قد تظهر لنا هذه الحكمة وقد لا تظهر
- لكننا نقطع ونؤمن ونتيقن أن أفعال الله -تعالى- ليس فيها عبث

٣

إنكار القدر

- وهذا كفر بالله لأن القدر هو الركن السادس من أركان الايمان





قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح وإنما كان ظن السوء لأنه ظن......"

ما معنى "وهذا هو ظن السوء"؟

- أي: من نفى القدر وأن حدوث الأشياء بدون إرادته -سبحانه- وبدون قدره فقد ظن بربه ظن السوء
- ووصف ربه بالعجز والجهل وعدم العلم تعالى الله عمّا يقولون

ما معنى "ظن غير ما يليق به سبحانه"؟

ظن ما يليق به -تعالى- وهو العبث

ما معنى قوله: "وما لا يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق"؟

- لأنه -سبحانه- محمود على كل حال
- على ما يكره العباد وعلى ما يحبون لأن من قِبل الله محمود
- فإيقاع العقوبة فيمن يستحقها عدلٌ منه -سبحانه- يُحمد عليه
- وإيقاع الهلاك بالأمم الكافرة يُحمد عليه -سبحانه- لأنه جزاء
- ونزول النعم بأهل الإيمان والنصر والتوفيق فضلٌ من الله

ما الذي يجعل الموحد لا يقع في ظن السوء أو ظن الجاهلية؟

أن يعرف الله ويعرف أسماءه وصفاته ومقتضى حَمدِه

فهو يعلم أن الله لا يفعل إلا ما فيه خير له فيصبر ويرضى بقضاء الله وقدره وينتظر الفرج

ولا ييأس من رحمة الله بل يزيد الرجاء من شدة الكرب

ماذا يفعل أهل النفاق وأهل الكفر عند الكرب؟

يكفرون بالله ويقنطون من رحمة الله تعالى



قال ابن القيم: "فمن ظن أنه يُديلُ الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحلُ معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره"

هذا إعادة من الإمام ابن القيم لتقرير هذه المسألة العظيمة

قال ابن القيم: "أو أنكر أن يكون قضاءه لحكمة بالغة يستحق معها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا"

الله تعالى قد يُديل الباطل على الحق أحيانًا

لكن هذا الإدالة مؤقتة وليست مستقرة

وإدالته على الحق لحكمه

وهي أن أهل الحق ينتبهون ويتداركون الخطأ والنقص الذي حصل فيهم

فيطهرهم من الرجس والذنوب والمعاصي بما نزل عليهم من العقوبة

فالله -تعالى- قد يُجازي عبده المؤمن وهو يُحبه ويعاقبه لأنه يُحبه من أجل أن يُخلصه من هذا الذنب حتى يوافي ربه طاهراً نقياً ويدخل الجنة

أما الكافر وعدو الله فإن الله يصبُ عليه النعم للإستدراج ويُمسك عنه بالعقوبة حتى يوافي يوم القيامة وهو محمل بالذنوب فيكون من أهل النار.

شبهه

البعض يقول: لماذا الكفار ينعمون بالحضارة والصناعات والجو الطيب والبيئة الطيبة والفواكه والمحاصيل والمسلمون في هذه الحالة؟

ثم يذهب به سوء الظن إلى أن يظن أن الكفار على الحق وأن الله راضٍ عنهم وأن المسلمين ليسوا على حق وأن الله ساخطً عليهم ثم قد يرتد

الرد على الشبهه

أن الله -جل وعلا- يُعطي الدنيا من يُحب ومن لا يُحب وأما الدين فإنه لا يُعطيه إلا من يُحب

أن إنزال النعم أو إنزال النقم ليس دليلًا على المحبة أو على البُغض والكراهة وإنما هو ابتلاء وامتحان

فقد يُعاقب الله من يُحبه وقد يُنعم على من يُبغضه في هذه الدنيا

فهذا يجب أن يكون من المؤمن على بال وهذا لا يدركه إلا أهل الفقه وأهل العلم وأهل البصيرة وأهل النظر الثاقب



قال ابن القيم: "فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا"

أي يتأمل أفعال الله -تعالى- في عباده ← ويعلم أنه لا يفعل شيء إلا لحكمة وقضاء وقدر

ماذا تقول نفسه إذا وقع شيء مما يكره به أو بغيره ← ويتأمل الإنسان نفسه حيال هذه الحوادث

فليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء

ما حكم تزكية الإنسان لنفسه؟ ← يجب على الإنسان أن لا يزكي نفسه أبداً بل دائمًا الإنسان يتهم نفسه بالتقصير في حق الله تعالى

ما هي التزكية التي أثنى الله تعالى على أصحابها؟ ← هي تطهير النفس بالأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة وتزكيتها بالإصلاح والتوبة

ما يستفاد من الآيتين:

١ أن حسن الظن بالله واجب من واجبات التوحيد

٢ أن سوء الظن بالله تعالى
- ينافي أصل التوحيد ← إذا زاد وكثر واستمر أو تكلم بلسانه
- ينافي كمال التوحيد ← إذا كان عارضًا أو خاطرًا في نفسه

٣ إثبات القضاء والقدر وأن ما يجري من المصائب والمحاب والمكروهات كله بقضاء الله وقدره

٤ أن النبي -ﷺ- ليس له من الأمر شيء فلا يُتعلق به وإنما يُتعلق بالله تعالى

٥ إثبات الحكمة في أفعال الله وأن الله لا -تعالى- لا يفعل شيئًا عبثًا

٦ أن وعد الله -تعالى- لا بد أن يتحقق ولا يتخلف وعدً الله أبداً وهو وعد بأن هذا الدين سيظهر

المرجع: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى.